سورة يوسف

تسلية المحزون ، وبشرى المكلوم

إنه لتمر بالمرء صنوف من الابتلاءات ، وجمل من الأحزان ، تفت الأعضاد ، وتفت الأكباد ، فيرتجف الفؤاد ، ويحتاج المرء ما يثبت به فؤاده ، فيأتي وحي الله ، فيشفي ما في الصدور((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك)) .

وفي هذه السورة العظيمة ، تسلية المحزون ، وبشرى لكل مكلوم ، فنبي كريم صرفت به خطوب تتلو خطوبا، وشوائب تدع الولدان شيبا ، فصبر فمرت محنته منحة .

يعقوب عليه السلام يبتلى في أولاده ، يحب يوسف حبا جما ، لا يقدر على فراقه ولو حينا من الوقت ((إني ليحزنني أن تذهبوا به)) !

فلا يرحم الأبناء الأب المسكين ، ولا ولده الضعيف ، ((قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ، إن أبانا لفي ضلال مبين)) وكادوا بيوسف ((إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب)) !!

خبر تسقط منه الحبالى، وتصحو له السكارى !!

ثم في شأن أخيه ((قالوا يا أبانا إن ابنك سرق)) !!
أي مصاب هذا ؟ إنه مصاب فض منه عقود الدموع، وشبت له النار بين الضلوع ، ثقلت عليه الحركة، واختلفت إليه رسل المنية ، حاله :
أبلى البكا أسفا يوم النوى بدني ** وفرق الحزن بين الجفن والوسن
(وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)) !

لكنه في ذلك كله يصطبر ((فصبر جميل ، عشى الله أن يأتيني بهم جميعا ، إنه هو العليم الحكيم))

أُعلل النفس بالآمالِ أرقُبُها ما * أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ**

أما يوسف ، فما يوسف عليه السلام ؟

لقد ابتلي في صغره بإخوة كادوا له (وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب)، ثم يباع عبدا (وشروه بثمن بخس)) ، ثم بامرأة تقول بهتا ، وزورا بحتا ((ما جزاء من أراد بأهلك سوءا)) ، ثم بقضاة فاسدين ((بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)) ، ثم مرة أخرى يأتيه إخوته ، فيقولون ((إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)) ، ولا يتورعون حين أكلهم العيش المر ، أن يقولوا ((يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر)) !!

أقاويل يتمشى الزور في مناكبها، ويتردد البهتان في مذاهبها !!

اجتمعت عليه فرقة الأهل ، والحبيب والدار

ثلاث يعز الصبر عند حلولها ** ويذهب عنها عقل كل لبيب

خروج اضطرار من بلاد تحبها **وفرقة خلان وفقد حبيب

يبتلى ، ويبتلى أبوه ، وإن أشد الناس بلاء في الله الأنبياء :

إن الرياح إذا اشتدتْ عواصفها * فليس ترمي سوى العالي من الشجرِ**

لكن سرعان ما يتلاشى كل ذلك ، فما بين غمضة عين وانتباهتها ، يبدل الله من حال إلى حال : ((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) !!

فليس مكر الماكرين وإن بدا قويا ظاهرا ، إلا كشمس العصر ، أعلى القصر ، مآلها إلى زوال ، ولو بعد حين .

فها هم الذين قالوا بالأمس ((إن أبانا لفي ضلال مبين)) يقولون ((يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)) .

ها هم الذي أرادوا أن يضعوا من شأن يوسف ، وقالوا ((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا)) يقولون له ((تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)) .

ها هي التي دانت بالكذب مذهبا ، واستلانت بالكيد مركبا ، بعد أن كانت تقول ((ما جزاء من أراد بأهلك سوءا)) تقول ((الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين)) !!

ها هو الذي كان بالأمس مسجونا ، هو اليوم ((على خزائن الأرض)) .

فلا تحزن أيها المكلوم ، ولا تيأس من رحمة الله ((إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)) .